تمهيد ومقدمة ترجمتي لمعاني القرآن الكريم بالفرنسية

التمهيد
ترجمة القرآن هل هي مباحة؟

أثارت مسألة ترجمة القرآن منذ زمن بعيد اهتماماً من الجانبين، أياً كانت الدوافع؛ ومنذ زمن بعيد أيضاً أثارت ترجمته مجادلات في البلدان الإسلامية، نظراً للجانب القدسي للقرآن وإعجازه، لكيلا نقول شيئاً عن صعوباته اللغوية الكبرى. لذلك لم يتول القيام بالترجمات إلا المستشرقين، الذين يمتلكون ناحية لغتهم الأم، ولكنهم أبعد ما يكونوا عن امتلاك معرفة باللغة العربية تكون على نفس المستوى. الامر الذي أدى الى نتائج مؤسفة..

وهذا الرفض لترجمة القرآن، والذي بدأ بصورة عامة في البلدان الإسلامية، ظل قائماً حتى مطلع القرن العشرين. لكن، نظراً للعدد المتزايد للمسلمين في العالم والذين لا يوجد بين أيديهم سوى ترجمات خاطئة، ونظراً لأن نفس هذه النصوص المحرفة كانت المورد الوحيد الذي ينهل منه القارئ غير المسلم معلوماته عن الإسلام، وبذلك يحتفظ بأفكار خاطئة وعلى غير أساس من الصحة، فقد غير المسلمون موقفهم ليتولوا قضية الدفاع عن الإسلام وينهضوا بمهمة ترجمة معاني القرآن.

وبقيت قضية معرفة ما إذا كانت ترجمة القرآن مباحة شرعاً، من الناحية الدينية أم ممنوعة؟ وفي دراسته المعنونة لترجمة القرآن الكريم يطرح الدكتور محمد إبراهيم مهنا الموضوع، موضحاً أنه قد أثير ثلاث مرات في مصر:

١- عندما منعت مشيخة الأزهر إدخال نسخة من ترجمة القرآن الكريم باللغة الإنجليزية إلى مصر وطلبت من مصلحة الجمارك إحراقها.

٢- عندما قررت حكومة تركيا برئاسة مصطفى كمال أتاتورك ترجمة القرآن الكريم باللغة التركية.

٣- وعندما قررت مشيخة الأزهر الشروع في عمل ترجمة لمعاني القرآن الكريم بالاشتراك مع وزارة المعارف، وذلك عندما تولى الشيخ محمد مصطفى المراغي مشيخة الأزهر للمرة الثانية (عام ١٩٣٦).

وكان على فريق عمل أن يقوم بالترجمة إلى اللغة الإنجليزية، بعد الحصول على موافقة من مجلس العلماء، مع مراعاة أن "يتولى ترجمة معاني القرآن الكريم فريق مكون من خيرة علماء

الأزهر الشــريف، بعد الرجوع لآراء أئمة المفســرين، ثم صــياغة المعنى بدقة متناهية، ثم تتم ترجمة هذه المعاني إلى اللغات الاخرى، بواسـطة أشـخاص معروفين بأمانتهم العلمية وبتمكنهم من هذه اللغات الاجنبية بحيث يفهم القارئ بهذه اللغات نفس المعنى الذي سبق وصاغه العلماء".

والسؤال المطروح كان التالي:

"هل الاقدام على محاولة جديدة يعد جائزاً من الناحية الدينية أو غير جائز؟".

"مع مراعاة أنه سيقال إن هذه الترجمة ليست القرآن، ولا تتضمن خصائص القرآن، وليست هي ترجمة كل المعاني التي يتضمنها أو التي فهمها العلماء، وأن هذه الترجمة ستطبع وحدها بجوار النص العربي للقرآن" فإن الفتوى التي صدرت كرد لهذا السؤال كانت ما يلي:

"الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد، رداً على سؤالكم الذي طالعناه بكل تفاصيله، نحيطكم علماً بأن الإقدام على الترجمة على الوجه المذكور تفصــيلا في ســؤالكم جائز شــرعاً، والله سبحانه وتعالى أعلم".

ويلي ذلك توقيع العلماء الذين أصدروا هذه الفتوى، وهم جميعاً أعضاء بجماعة كبار العلماء:

- محمد الديناري: عضو جماعة كبار العلماء وشيخ معهد طنطا.
- عبد المجيد اللبان: شيخ كلية أصول الدين وعضو جماعة كبار العلماء.
- إبراهيم حمروش: شيخ كلية اللغة العربية وعضو جماعة كبار العلماء.
- محمد مأمون الشناوي: شيخ كلية الشريعة وعضو جماعة كبار العلماء.
- عبد المجيد سليم: مفتي الديار المصرية وعضو جماعة كبار العلماء.
- محمد عبد اللطيف الفحام: وكيل الجامع الأزهر وعضو جماعة كبار العلماء.
- دسوقي عبد الله البدوي: عضو جماعة كبار العلماء.
- أحمد الدلبشاني: عضو جماعة كبار العلماء.
- يوسف الدجوى: عضو جماعة كبار العلماء.
- محمد سبيع الذهبي: شيخ الحنابلة وعضو جماعة كبار العلماء.
- عبد المعطي الشرشيمي: عضو جماعة كبار العلماء.
- عبد الرحمن قراعه: عضو جماعة كبار العلماء.
- أحمد نصر: عضو جماعة كبار العلماء.
- محمد الشافعي الظواهري: عضو جماعة كبار العلماء.

"حيث أن الترجمة المرادة هي ترجمة لمعاني التفسـير الذي يضـعه العلماء فهي جائزة شـرعاً، بشرط طبع التفسير المذكور بجوار الترجمة".

رأي إمام الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

وجهت هذا السؤال الى جماعة كبار العلماء، وإني أوافقهم على ما رأوه.

ولا أرى داعياً للتحفظ الذي أبداه الشيخ عبد الرحمن عليش وهو "طبع التفسير مع الترجمة لعدم الحاجة إلى ذلك بعد مراعاة الشروط المدونة في السؤال".

رئيس جماعة كبار العلماء

محمد مصطفى المراغي

قرار مجلس الوزراء

بعد الاطلاع على كتاب فضـيلة شـيخ الجامع الأزهر وكتاب سـعادة وزير المعارف العمومية بشأن ترجمة القرآن الكريم.

ومع تقدير مجلس الوزراء لمشقة هذا العمل وصعوبته، ومنعاً لأضرار الترجمة المنتشرة الأن.

رأى مجلس الوزراء بجلسـته المنعقدة في ١٦ أبريل سـنة ١٩٣٦ الموافقة على ترجمة معاني القرآن الكريم ترجمة رسمية تقوم بها مشيخة الجامع الأزهر بمساعدة وزارة المعارف العمومية وذلك وفقاً لفتوى جماعة كبار العلماء وأساتذة كلية الشريعة.

تقديم

أ – لماذا هذه الترجمة؟

هل هناك حاجة إلى ترجمة جديدة باللغة الفرنسية؟ إن الرد بالإيجاب يكاد يفرض نفسه في النطاق الذي يمكن فيه القول، بلا خطأ يذكر، أن كل الترجمات الموجودة حالياً بها العديد من المآخذ.. إذ يتسع مدى الانحرافات من السهو غير المقصود إلى التحريف المتعمد، مروراً بكل الصعوبات التي تضعها اللغة الغربية أمام المترجم.

فليس المقصود هنا إلقاء لوم لا جدوى منه، حتى وإن كان مبنياً على أسس علمية، أو من قبيل المناقشات العقيمة، لكنها ملاحظات موضوعية يمكن لكل شخص أن يلاحظها في خطوطها العريضة:

* عدم احترام القرآن وخاصيته كنص منزّل لدى البعض؛

* غياب الأمانة العلمية لدى البعض الآخر، والتي قد تصل إلى تحريف النص واللجوء إلى اختيار ألفاظ مهينة، خاصة عندما يسمح اختيار العبارات بذلك، مثلما ورد بترجمة أندريه شوراكي؛

* عدم القدرة لدى بعضهم على إدراك معنى القرآن أو رهافة معانيه وتنوعها.

* لجوء أغلبية المترجمين إلى نوع من التعليق أو الإضافات التي تجاوز الترجمة، الأمر الذي يغرق النص بتطويل لا علاقة له أحياناً بالنص القرآني.

* الفرق الشاسع القائم بين اختلاف وعاء اللغتين، إذ أن مميزات اللغة العربية تسمح لها بأن تكون أكثر أتساعاً بعشرات المرات من اللغة الفرنسية. وهو ما سوف نراه فيما بعد.

وتبقى ملاحظة لابد من قولها وهي: الفرق الواضح بين الترجمات التي قام بها المستشرقون، وتلك التي قام بها المسلمون. وهو فرق يفرض نفسه بحكم الواقع ويقسم هذه الترجمات إلى مجموعتين متميزتين على الأقل من حيث الهدف الذي تمت من أجله. وهذا يعني الإفصاح عن كل شيء ضمناً، بما أن أهداف المسار يتضمن في حد ذاته كل الخطوات التي ستتبع..

فلم يعد هناك من يجهل أن الهجوم على الإسلام قد بدأ منذ بدايات انتشاره ولم يتوقف. إذ تصدى له الغرب على أنه هرطقة مسيحية وانشقاق من أمثال ما قام به مارسيون، وماني، وأريوس وكثيرين غيرهم، من الذين عارضوا تأليه السيد المسيح. وتعد الصفحات التي خصها يوحنا

الدمشـــقي (حوالي ٦٥٠-٧٥٠ تقريباً) في كتابه المعنون **"نبع المعرفة"** فصـــل الهرطقات، المســتودع الذي لا ينضــب للأفكار المغلوطة والصــور المشــوهة التي راح ينهل منها الغرب ليفرضها عبر قرون طويلة وحتى يومنا هذا بشراسة متزايدة.

ومن ناحية أخرى، فإن نفس الصـورة المشـوهة للإسـلام وللرسـول صـلوات الله وسـلامه عليه، وللمسلمين، والتي أضـيف إليها تّعنت الحروب الصـليبية، تمثل الخلفية التي نُسـجت عليها بدهاء أول ترجمة للقرآن في مطلع القرآن الثاني عشر. وذلك ما يوضـحه الخطاب الذي أرسله بطرس المبجل إلى القديس برنار، مع نســخة من الترجمة التي قام بها روبير دي رتين بمعاونة رهبان دير سيتو. وذلك "للحاجة إلى مسح أية آثار لديانتهم الأولى من عقلية الذين تم تنصيرهم حديثاً"، وهو ما أورده رجيس بلاشـير في الصـفحة رقم ٩ من كتابة المعنون: **"القرآن"** الصـادر في عام ١٩٦٩. وبقول آخر، لقد تضـافرت جهود التعصـب الكنسـي للبعض، والتعمد العنيد للبعض الآخر لحبك عملية تزييف أرادوها أزلية!

ومن هنا نرى أن ترجمة القرآن التي قام بها المستشرقون أو رجال الكنيسة لن تحيد أبداً عن هذه القاعدة بل إنها قد اسـتقرت منذ ذلك الوقت في موقف عدائي ضـد الإسـلام. والأدهى من ذلك أن معيارها هو: تفنيد الإسـلام بالاسـتعانة بتعاليم القرآن! الأمر الذي يكشـف إلى أي مدى سـتصـل عمليات التحريف والتبديل وكل ما يمكن لعقلية الهجوم والكراهية المبنية على غير أســاس أن تتمخض عنه لتفرضها بألاعيبها..

وبالتالي، فقد اسـتسـقى عصـر التنوير كل معارفه وكل عداءه من هذه الكتابات المعادية للإسـلام وخاصــة المعادية للقرآن، الذي راحت المسـيحية تهاجمه بمنهجية ودأب عبر القرون ولا تزال. وهذه المعارف وهذا العداء لن يقوم بتغذية الأجيال التالية فحســب، لكنه ســينتهي به الامر الى تكوين طـابع تلقائي وشــبه فطري للطبيعة الغربية، وموقف من الرفض الأعمى لكل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين.

وإن كانت هذه هي الأهداف والعواقب الناجمة عن الترجمات التي قام بها المستشرقون، وهو ما يمثل المجموعة الأولى، فان تلك التي قام بها المســلمون تنطلق بالطبع من وجهة نظر مغايرة، تهدف الى تصــويب تلك الصــورة المشــوهة تقليدياً والتي توارثوها – ان أمكن القول – أباً عن جد..

ومن هنا فإن التحفظات التي تتعلق بالمجموعة الثانية من الترجمات تنصــب على مجال آخر هو مجال اللغة الفرنسية.

ولعلمهم بأن الفرنسية ليست لغتهم الأم، حتى وأن كان البعض منهم يعيشون في فرنسا أو أنهم قد تلقوا تعليمهم بها، فإن هؤلاء المترجمين قد اســتعانوا بأعمال زملائهم المســتشــرقين، بما أنهم

أصحاب هذه اللغة، ليستدلوا بها في ترجماتهم. وهو الأمر الطبيعي لأي عمل أكاديمي، غير أنه بخلاف عمليات النقل، فقد انزلق البعض سهواً واستخدموا نفس الصيغ المدسوسة بدهاء لينقلوها إلى ترجماتهم، ولا نذكر هنا على سبيل المثال إلا ذلك الذي نقل عبارة چاك بيرك التي ترجم بها (أن الله يتوب) بمعنى أنه يتوب عن خطأه هو (والعياذ بالله) بدلا من أنه يتوب عن أخطاء البشر! صحيح أن فعل يتوب باللغة العربية يعني ان الشخص يندم عن عمل ما، وبالعربية أيضاً فإن نفس الفعل حينما يتعلق بالله عز وجل فإنه يأخذ وبلا أي تردد معنى العفو. وبالنسبة للمسلم فإن هذه التفرقة بين المعنيين تتم تلقائياً وفقاً للمضمون، أما بالنسبة للمستشرق الذي يبحث عن التشويه والتزوير، فإن ما قام به چاك بيرك يعد نموذجاً! لذلك لابد من ترجمتها بفعل أخر.

وهناك مثال أخر أقل فداحة من الناحية الدينية، وقد انتقل تقريباً إلى كل الترجمات ألا وهو اختيار ألفاظ بعينها تتضمن إهانةٍ ما للإسلام، مثال كلمة Répudiation كمقابل لكلمة الطلاق في حين أن المقابل الفرنسي موجود، وهو Divorce. والفرق بين الكلمتين في اللغة المترجم إليها أن الطلاق يمثل واقعة محدودة، انفصال بين شخصين، في حين أن Répudiation تتضمن بالنسبة للمرأة، معنى إهانة الطرد. الأمر الذي يسيء إلى حقيقة الإسلام وموقفه من المرأة.

ولم يكن ذلك إلا مثالاً بسيطاً للتلاعب بالألفاظ الذي يقوم به المستشرقون، والذي تكاد لا تخلو منه صفحة من صفحات ترجماتهم.

وتبقى مشكلة أساسية: نظراً لاختلاف وعاء اللغتين فإنه لا يمكن القيام بترجمة مرضية حقاً لمعاني القرآن الكريم باللغة الفرنسية دون اللجوء إلى اشتقاق كلمات جديدة. إنها ضرورة قد لامسها كل اللذين تعرضوا لهذا المجال. إلا أن هذه الضرورة الموضوعية، من ذا الذي سيقوم بها؟ أولئك الذين أمضوا أربعة عشر قرناً في الحفاظ على فرض تلاعب متعمد بالقرآن؟ هل سيشغلون بالهم بصياغة اشتقاقات جديدة حتى يعطوا صورة أقرب ما تكون من النص الذي يحاولون استبعاده من الوجود؟!

ومن ناحية أخرى، فإن المسلمين نادراً ما يجرؤون على اقتحام هذا المجال، لمعرفتهم عن حق إلى أي مدى سيغضب البعض من مجرد الفكرة!

تلك كانت الخطوط العريضة للسبب الذي من أجله تمت هذه الترجمة. وذلك لا يقلل أبداً من قدر المجهود الذي قام به من سبقونا على هذا الطريق.

ومع ذلك، يبقى الأمل.. الأمل في أن يقوم أحد أساتذة اللغويات، أو أحد أعضاء الأكاديمية الفرنسية ليتخطى بشجاعة حاجز الكراهية والنفور الذي تم غرسه عن غير وجه حق عبر القرون، ليتولى مهمة القيام بالاشتقاقات المناسبة!

إنها مهمة مزدوجة الصعوبة، لكن كم هي مهمة إنسانية وعلمية.

ب- الترجمات السابقة

إن الترجمات الكاملة لمعاني القرآن الكريم التي استطعنا الحصول عليها والرجوع إليها هي الترجمات التالية مرتّبة وفقا لتاريخ صدورها وبالهجاء الفرنسي لكلمة قرآن:

- دي رييه: لو قرآن دي ما أوميه، ١٦٤٧.
- سافاري: الكرآنْ، ١٧٨٣.
- كازيمرسكي: الكرآنْ، ١٨٤٠.
- مونتيه: الكرآنْ، ١٩٢٩.
- لايمسن: الكرآنْ، ١٩٣١.
- پيل وتيجاني: الكرآنْ، ١٩٥٤.
- بلاشير: الكرآنْ، ١٩٦٦.
- ماسون: الكرآنْ المتعذر تقليده ١٩٦٧.
- محمود بن نابي: الكرآنْ، ١٩٧٦.
- جروچان: الكرآنْ، ١٩٧٩.
- كشريد: الكرآنْ الكريم ١٩٨٤.
- بوبكر: الكرآنْ، ١٩٨٥.
- أحمد م. ت.: الكرآّنْ المقدس، ١٩٨٥.
- حميد الله: الكرآنْ المقدس، ١٩٨٦.
- خوام: الكرآنْ، ١٩٩٠.
- بيرك: الكرآنْ، ١٩٩٠.
- شوراكي: الكرآنْ، ١٩٩٠.
- مجمع الملك فهد: الكرآنْ المقدس، ١٩٩٤.
- مازيغ: الكرآنْ (بدون تاريخ).

وكما هو واضـــح، فإن عشـــرة من هذه الترجمات قد قام بها مســـتشـــرقون، وواحدة منها تمت بالاشتراك بين مستشرق ومسلم، وثمانية منها قام بها مسلمون أو مؤسسات إسلامية.

ولا يتسع المجال هنا لتناول كل منها على حدة وتوضيح ما لها وما عليها لكن هنا أيضـاً التحديد يفرض نفسه بين المجموعتين، لنوضح بشيء من التفصيل الأسباب التي من أجلها تعد ترجمات المستشرقين منتقدة نظراً لعدم الأمانة العلمية المسبقة التي يفرضونها على أعمالهم.

ومن هنا يمكن القول إجمالاً أن كل ترجماتهم، وبلا اســـتثناء، تنطلق من نفس النقطة: رفض حقيقة أن القرآن منّزل من عند الله، محاولة تأكيد أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو مؤلفه، وإنكار أميته، ومحاولة إثبات أنه نقل عن القدامى أو قلدهم، وبرهنة أن هذا القرآن لا يتضمن أي تشـريع يذكر وأنه في الواقع ليس سـوى كمّ من العبارات المثيرة للسـخرية أو المليئة بالغموض، ليصلوا جميعاً بصورة أو بأخرى الى نفس النهاية: أنه عمل مليء بالخزعبلات جدير بأن يلقى..

وأن لم يكن القرآن يســـهل لهم هذه "المهمة" عن طريق اختيار عبارات معينة، فإن الهوامش والتعليقات في أخر الصـــفحات إضـــافة الى المقدمات التي يكتبونها تعطي لهم المســـاحة الكافية لتنزيف وتحريف المعنى كما يبغون..

وجميعهم أيضـــاً تتضـــافر جهودهم للجأوا الى نفس التقنية: إخفاء أو التلاعب بالآيات التي تدين عقيدة الثالوث وكل تلك التي تثبت عمليات التحريف التي تعرض لها الإنجيل الأصـــلي، إنجيل يسوع، بكل الصور، من قبيل: تغيير أماكن الكلمات، تبديل المعنى، تحريف، الخ... وخاصـةً تلك الآيات التي تدين تأليه السيد المسيح.

كما أن كل هؤلاء المترجمين يتفقون لاستبعاد أيّة تشـابه بين المعطيات الأساسية، بما أن رسـالة التوحيد واحدة وهي: وحدانية الله عزّ وجلّ.

وكذلك فإن اختيار الكلمات يخضـــع لنفس الدهاء.. فكلمة الجنة Paradis مثلاً لن تظهر تقريباً في هذه المجموعة من الترجمات، لكنهم سيضعون بدلا منها كلمة حديقة Jardin وهو نفس الأسلوب المســـتخدم للتلاعب بفعل (يتوب) الذي رأيناه فيما ســـبق. فأن كلمة جنة باللغة العربية تعني الاثنين: المعني الأخروي والحديقة أو البستان، والمعنى العام للسياق هو الذي يحدد الاختيار.

تلك كانت، في خطوطها العريضـــة، التوجهات المســـبقة التي يتبعها المســـتشـــرقون، والفرق الموجود بين كل ترجمة من ترجماتهم ليس، في الواقع، ســـوى اختلاف في الأســـلوب وفي التحايل، لكن القاسم المشترك بينها يظل واحداً.

والتقرير الذي قدمته اللجنة المكلفة بمراجعة "ترجمة القرآن" التي قام بها چاك بيرك يوضـــح ما فيه الكفاية ويكشـف الى أي مدى يمكن القول بأن القرآن لم يُقدم بأمانة أبداً من قبل المستشـرقين،

في أي لغة أجنبية، ولا بأي صـــورة تجعله مفهوماً حقاً. والموجز التالي لتقرير اللجنة يقول ما يكفي:

لقد قام المرحوم الشيخ جاد الحق على جاد الحق، الإمام الأكبر للأزهر الشريف بتشكيل اللجنة بموجب القرار رقم ٤٠٢ لعام ١٩٩٥ بتاريخ ٢٦ يونيو، وتضم كل من:

- أ. د. مصـــطفى الشـــكعة عميد كلية الآداب بجامعة عين شـــمس وعضـــو مجمع البحوث الإسلامية، الصديق الكبير لچاك بيرك وزميله.
- أ.د. محمد بدر، أستاذ النظم القانونية بجامعة عين شمس.
- السيد السفير أحمدين خليل المتبحر في الإسلاميات والعالم بالفرنسية.
- أ.د. محمد مهنا أستاذ القانون بكلية الحقوق.
- أ.د. زينب عبد العزيز، أستاذ الحضارة ورئيس قسم اللغة الفرنسية وآدابها بكلية آداب جامعة المنوفية ومؤلفة الكتاب المعنون: **"وجهان لجاك بيرك"**.

وكان التقرير الجماعي الذي تقدمت به هذه اللجنة مرفقاً معه ثلاثة تقارير فردية مقدمة من كل من:

- أ.د. أحمد البساطى، عميد كلية الدراسات العربية والإسلامية بجامعة الأزهر.
- أ.د. على جمعة، أستاذ أصول الفقه بجامعة الأزهر.
- د. محمود عزب المدرس بجامعة الأزهر والمدافع المتحيّز لچاك بيرك، والذي أقترح في تقريره استبعاد الدراسة التي زين بها چاك بيرك ترجمته للقرآن برمتا لأنها "تسئ الى مؤلفها بشـــده". وكان التقرير الجماعي الذي تم نشـــره بجريدة الشـــعب بتاريخ ٢١ مارس ١٩٩٧ يتضمن خمسة عشر ملاحظة تلخيصها كالاتي:

١- جهلة باللغة العربية: وذلك لعدم إدراكه أعماق اللغة وإمكاناتها المتفردة، ولقراءته الخاطئة في التشـــكيل والنحو، ثم يخرج بنتائج يتنقد بها القرآن أو يقوم بالتفســـير وهو لا يملك المقومات البدائية لذلك.

٢- عدم فهم النص القرآني: بناء على جهله باللغة العربية وقواعدها في النحو والقراءة الصـــحيحة فهو يســـئ الفهم ويخطئ وفتئت ويأتي بأدلة محرفة ليثبت أن القرآن مليء بالأخطاء اللغوية التي لا تغتفر والتي لا يمكن تبريرها.

٣- **عدم الأمانة العلمية:** وذلك بتشـــوية النقل عن المفســـرين القدامى، ومحاولته إثبات تاريخية النص القرآني زوراً قياســـاً على تاريخية الأناجيل وبالتالي تأكيد أن القرآن من صـــنع البشر مثلها (صفحة ٧٤٥). وكذلك لجوئه إلى استشهادات مبتورة، ويضعها خارج سياقها ليثبت فرياته مثال مقولة "لكل كتاب أجل" (٧٨٧).

٤- **ترجمة محرفة:** فهو يستخدم كلمات وألفاظ لا تعبر عن المعنى القرآني والتي تكشف عن جهل فاضـــح باللغة العربية وســـوء نية مبيتاً، وذلك من قبيل ترجمته لســـورة الروم وترجم "الروم" بكلمة روما عاصمة إيطاليا! والأدهى من ذلك يضيف في هامش الصفحة: "إننا نقول روما من باب الترخيم الصوتي حيث يجب أن نضع "البيزنطيون" بالطبع (٤٣١).

٥- **كلمة القرآن:** لا يســـتعين حتى بالقواعد الأولية للترجمة فيما يتعلق بترجمة نفس الكلمة الواحدة وإنما يلجأ إلى تنويعات متفرقة للتعبير عن كلمة القرآن مما يؤدى الى بلبلة القارئ ويوحى بالاستخفاف.

٦- **الله في القرآن:** إصراره على إظهار الله سبحانه وتعالى في صورة مرعبة مليئة بالتناقضات محـــدداً "الله فـــي الـــقـــرآن" وكـــأن الأمـــر يـــتـــعـــلـــق بـــنـــظـــريـــة مـــا فـــي الـــقـــرآن! وزيادة في الاســـتخفاف يضـــيف قائلا: أنه يمتلك نوعا من الثنائية في علاقاته مع مخلوقاته: فهو يسعد بالمديح، ويصلى، ويندم! (٧٩١).

٧- **جمع القرآن:** يجاهد لإثبات أن القرآن قد تم تحريفه عند تجميعه وعند تشكيل القراءة وأنه ما زال يحمل آثار هذا التلاعب حتى يومنا هذا!

٨- **الطابع البشرى للقرآن:** يؤكد في عدة أماكن أن القرآن قد كتبه سيدنا محمد صلوات الله عليه، متأثرا بالشعر الجاهلي، والفكر اليوناني، ومزامير داود.

٩- **القرآن شـــعر قديم:** يؤكد أن القرآن عبارة عن نوع من الشـــعر القديم، ثم يقارنه بشـــعر بارمنيدس الذي يقول إن النبي عليه الصلاة والسلام قد استوحى منه سورة الإخلاص، ثم يؤكد أنه إذا ما أخضع القرآن لعلم اللغويات الحديثة ونظرياتها لفقدت العديد من السور من قيمتها!

١٠-**انتقاده وتقويمه للقرآن:** يلجأ الى معطيات مغلوطة ليقول إن القرآن قد جاء لمكان محدد ولزمن معين ومن أجل ظروف انسانية بعينها. وحيث أن هذه الظروف تتغير وتتطور فلا بد من تغير النص القرآني وتطويره لآن ثباته عبر الزمان يمثل إحدى آفاته!

١١-انتقاده للحديث والسـنه: يرى أن الحديث والسُـنة ليسـت إلا عبارة عن قياس أحداث على أحداث تاريخية سابقة ويقترح نبذها بما أنها مليئة بالفجوات، وعدم الدقة، وتفتقد المصداقية!

١٢- اتهام علماء المسلمين: يحاول إثبات أنهم قاموا بالتزوير لإضفاء معان معينة على القرآن، بينما دأب المستشرقون على كشف خدعهم!

١٣- نفيه وجود شريعة بالقرآن: يؤكد أن القرآن عبارة عن خليط غامض من الدين، والأخلاق، وأن القليل الذي يتضمنه من أحكام غامض أو منقول عن قانون جستنيان وغيره.

١٤- فصل الدين عن الدنيا: يسيء تفسير معنى الآيات ليقول إن القرآن يحرم السلطة السياسية على رجال الدين المسلمين، في حين أن القرآن يحرم التأليه أو ادعاء الألوهية.

١٥- الدعوة التي يدعو اليها: يخلص بأن الإسـلام دين غامض، وأنه يعنى الخضـوع، وأنه مليء بالمتناقضـات، ويدعو المسـلمين الى تصـويب النص القرآني، والى البحث عن مصـادر أخرى للتراث، تكون قـائمـة على الطبيعـة وليس على "الغموض" مكرراً عشـرات المرات ضرورة إخضـاع القرآن للنقد التاريخي، وإلى علوم اللغويات الحديثة، لا لتخليصـه من التحريف والتناقض الذي يزخر به في نظره فحسـب، وإنما بغية نقله الى الحاضـر بحيث يمكن إدماجه فى العصـر الحديث! وتنهى اللجنة تقريرها بالتأكيد على أن هذه المعطيات التي تتكرر طوال الاثنين وثمانين صفحة لهذا البحث ليست عفوية، وإنما تمثل الخطوط الأساسية التي نسج عليها ترجمته.

وبعد قراءة مثل هذا التقرير، يشعر المرء بالكدر عندما يعرف أن چاك بيرك كان عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، وأسـتاذاً فخرياً بالكوليج دي فرانس! وهي الإجازة الوحيدة التي توج بها عمله لينشره!

تلك هي الأسـباب التي أدت الى ما أثارته ترجمة چاك بيرك من ردود أفعال لا مثيل لها، فى مصر وفى العالم الإسلامي، منذ ظهورها وأدت الى إدانتها.

ولا يتسـع المجال هنا للرد على كل هذه المعطيات التي تناولها المسـتشـرقون بصـور متفاوتة، لكننا لا نسـتطيع إغفال ذلك المطلب المتكرر من چاك بيرك وشـركاه، ألا وهو إخضـاع القرآن للنقد التاريخي وتطبيق أساليب اللغويات الحديثة عليه، واخضاعه الى النقل في الحاضر.

إن أى منطق سَوى يمكن ان يدرك بسهولة أن كل وسائل التحليل التي توصل اليها الغرب في دراساته الألسنية، هي على علاقة مباشرة بلغاتها وتطابقها تماما حيث أن المنبع أو الأساس الخاص بالاثنين هو واحد بالنسبة للغة وبالنسبة لهذه الأعمال اللغوية.

أما فيما يتعلق بآليات التحليل التي تناسب اللغة العربية، فقد أكتشفها المسلمون في القرون الأولى للإسلام، وطبقوها على القرآن، وظهر بها أنه كتاب في غاية الإحكام، بأسلوب لا يضاهي سواء من حيث الشكل أو المضمون. لذلك يؤمن به المسلمون ويتمسكون به عبر العصور.

ولا يمكن للغرب أن يدرك ذلك الأمر حيث أنه عانى من تجربة على عكس ذلك تماماً مع نصوصه المقدسة التي لم تكف عن الخضوع لعمليات التحريف حتى يومنا هذا، ولا نذكر هنا الا محاولات البابا يوحنا بولس الثاني "تبديل" سبعون جملة أو فقرة من الإنجيل لكي يرضى اليهود ويحقق وحدة الكنائس التي يريدها تحت لواء الكاثوليكية الفاتيكانية، لكيلا نقول شيئاً عن التناقضات التي تتضمنها الأناجيل والتي لا يمكن تغافلها بتاتاً.

لذلك لا يمكن للغرب أن يدرك عمق تعلق المسلمين بالقرآن، ولا ذلك الإجلال الراسخ الذي يخصونه به. ومن هنا يعد مطلب چاك بيرك وأمثاله خطأ منهجياً لأنه لا يمكن تطبيق قواعد أجرومية ووسائل تحليل لغةٍ ما على لغةٍ أخرى، خاصة آليات لغة لاتينية على لغة سامية.

أما فيما يتعلق "بنقل القرآن الى الحاضر"، أو بقول أخر: بتحريف القرآن، الذي يصرون عليه بزعم أن يتمشى مع الحاضر أو مع العصرية المزعومة، فلا يحق لإنسان أن يمس أي حرف من هذا النص المنزّل، المقدس، الطاهر والمصون، فحسب، ولكن الرد الوحيد الذي يمكن قوله هو هذه الأية من سورة الحجر:

﴿إِنَّا **نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾

ج- مشكلات الترجمة الى الفرنسية والقواعد التي يمكن إتباعها

منذ زمن بعيد والتفكير في الترجمة يتركز على تناقضات ثنائية: اللغة الأصلية / اللغة المترجم اليها؛ النص الأصلي/ النص المترجم؛ ترجمة حرفية/ ترجمة حرة؛ ترجمة المقابل الحرفي/ ترجمة الروح العامة. وكل هذه التوجهات التي ليست على نفس المستوى تؤدي الى نقطة أساسية: الاهتمام بالنص الأصلي أم النص المترجم إليه؟ ورغمها، وأيا كانت الخيارات أو المصاعب، فإنه توجد دائماً عمليات مشتركة لكل اللغات تسمح بعمل معادلات مقابلة.

وفيما يتعلق بترجمة القرآن، مع مراعاة مصاعب اللغة العربية وخصوصيتها، وسماتها المميزة، فلا يمكن الاكتفاء باختيار نسق واحد لأتباعه، وإنما لابد من الاستعانة بكل وسائل الترجمة الممكنة، وفقاً للسياق، حتى يمكن تقديم فكرة سليمة عن المعنى.

ولقد جرى العرف على كتابة ببساطة أن اللغة العربية لغة سامية، وأنها تختلف عن اللغات اللاتينية، وأنها تنعم بمرونة فائقة، وذلك لأنها تتضمن إمكانية شاسعة للاشتقاقات.

وبالفعل، إن الفرق بين الاصطلاح العربي وأي اصطلاح غربي يكمن في تلك الإمكانيات الشاسعة للغة العربية، التي تتضمن إضافة إلى ذلك: سهولة كبرى في صيغ النحو، صيّغ متناهية في القواعد ترجع إلى نظام خاص لجذور ومرونة الأفعال وتنوع لاشتقاقات متعددة. الأمر الذي يسمح بثراء شاسع في المفردات وبرهافة في الفوارق التي لا يمكن ترجمتها الترجمة الدقيقة إلا باللجوء إلى اشتقاق كلمات جديدة في اللغة المترجم اليها.

وقد يكون ذكر مثال عملي أوضح للقارئ حتى يمكنه استيعاب هذه المرونة غير التقليدية. إن الاشتقاقات التي يمكن للفعل أن يعطيها في اللغة العربية هي التالية:

في الصيغة الفعالة: الماضي والماضي المبهم، صيغة الامر؛ صيغة الماضي: في الماضي والماضي المبهم؛ أسم الفعل: اسم الجنس؛ اسم الفاعل؛ اسم المفعول أو الفاعل بحرف الميم؛ اسم الزمان والمكان. أي قرابة عشر صيغ كل منها تعطي ثماني تصريفات مختلفة، الأمر الذي يسمح بثمانين اشتقاق من الفعل الواحد. ويتضاعف الرقم تقريباً إذا ما راعينا الصيغ المؤنثة.

كما يجب أن نأخذ في الاعتبار أن كل واحد من هذه الاشتقاقات يتضمن اختلافاً في المعنى أو في الدرجة. الأمر الذي لا يوضح مدى اتساع أو مرونة اللغة العربية فحسب، ولكن أهمية وضرورة مراعاة التشكيل في القراءة لكي تكون الترجمة سليمة وإلا فإن الأخطاء ستتراكم رغم كل النوايا الحسنة للمترجم. ثم، هل من ضرورة لنضيف ان اللغة الفرنسية كثيراً ما لا يوجد بها صيغة الفعل أو الصفة، أو الصيغة الثنائية ولا المؤنث لبعض صيغ التصريف كفعل الأمر وغيرها؟!

من ناحية أخرى فإن اللغة العربية تمتلك العديد من المصطلحات لتحديد الفرق الدقيق بين الحالات المختلفة مثلما في الآية (١٠٣) من سورة المائدة حيث نرى مسميات محددة للجمل أو الناقة أو الشاة. فهناك "بحيرة" للناقة التي أنجبت خمس مرات، والتي كانوا يشقون أذنها علامة على حريتها في أن ترعى في كل مكان وأنها كانت خاصة بمعبود ما؛ و"سائبة" للناقة التي ترعى حرة وقد نذرت لإله ما؛ و"وصيلة" للشاة التي أنجبت توائم خمس مرات متتالية؛ و"حام" للجمل الذي أخصب ناقة عشر مرات متتالية. ونظرا لعدم وجود مقابل للفرنسية فإن المترجم يجد نفسه أمام ثلاث اختيارات: الترجمة بتركيبة تعبيرية أو بجملة بأسرها؛ الكتابة الصوتية للكلمة؛ أو البحث عن اشتقاق جديد.

والاشـتقاق الجديد يمثل بالفعل إحدى المشـاكل الكبرى. ولقد لجأنا اليه في أضـيق الحدود حيث كان لابد من ذلك، خاصـة بالنسبة للبسملة، وهي العبارة التي تتضـمن اسم الله واثنان من صـفاته الأساسية والتي ينطقها المسلم عند شروعه في أي شيء وليس عند الصلاة فحسب.

إن فعل رحم يعني عمل الرحمة، ورحمن ورحيم اسـمان صـفتان متقاربان في المعنى ويعبران عن فكرة الرحمة. ومع ذلك فإن الأول يصـف من يقوم بالفعل، والثاني يتسـم بالصـيغة الأكثر شـيوعا للاسـم الصـفة وهو Miséricordieux، من ناحية أخرى فإن كلمة الرحمن بالعربية لا تنطبق إلا على الله وحده الذي وسعت رحمته كل الأشخاص بلا تمييز، فهو صـانع الرحمة، في حين أن الرحيم معناها أكثر تحديداً، أي تجاه الذين يستحقون رحمته.

وبما انه لا يوجد بالفرنسية كلمة تصف من يقوم بفعل الرحمة، مثال "عامل" للذي يقوم بالعمل، فكان لابد من اشـتقاق اسـم الموصـوف الخاص Miséricordeur الذي لا ينطبق إلا على الله، للتعبير عن نفس الصـياغة اللغوية العربية حيث أن الاسـمان الصـفتان مشـتقان من جذر واحد، لتوضيح الفرق بين الاسمين حيث أن الأول يحدد من يقوم بالفعل، والثاني يشير إلى صفته.

ولقد اسـتعننا بنفس الصـفة باللاتينية بما أن الجذر، وفقاً لعالم اللغويات جريڤيس، يمكن أن يكون له اشـتقاقان مختلفان متقاربان في المعنى. وهو ما سـمح لنا بترجمة أقرب ما تكون إلى العربية من حيث الشكل والمضمون: بسم الله الرحمن الرحيم:

Au Nom d'Allah, le Miséricordeur, le Miséricordieux

من جهـة أخرى، إنـه نفس العمـل الـذي حـاول أن يقوم بـه أنـدريـه ميكيـل في كتـابـه المعنون **"الواقعة"**، حيث قام بنقد عدة ترجمات لسـورة الواقعة ويقترح فيه ترجمة جديدة للبسـملة تكون من نفس الجزر بالنسبة للصفتان، لكنه للأسف قد استعان بكلمة أخرى غير "الرحمة" وقال:

هناك مشـكلة أخرى أكثر خطورة شـكلاً، إذ أن كلمة magnificent لا توجد، إذا ما رجعنا الى العرف والممارسـة. لكنها نعمة غير متوقعة بما أن هذا الاشـتقاق الجديد يحترم خاصـية الرحمن ويناسـب الله تماماً، الذي تخصـه هذه الصـفة تماماً، بما أنه الوحيد الذي يمكنه أن يكون رحماناً. وبمراعاة هذه العبارات "الوحيدة" والتي تحدد الفرق بين الصفتين يمكننا اقتراح:

Au Nom de Dieu, le seul Magnificent, Le Magnanime

ويعني اقتراحه هذا: بسم الرب، العظيم الوحيد، كريم النفس!

هل من ضـرورة لنقول إن هذا الاقتراح لا يحترم حتى سياق العبارة العربية بما أنه اضـطر الى إضـافة كلمة "الوحيد" ومن ناحية أخرى، لا ندري لماذا لم يسـتعن السـيد ميكيل بنفس الجذر المقابل للعربي وهو موجود بالفرنسية، أي بـــ miséricorde؟ إن Magnanime تعني: ميال الى

العفو عن الظـالمين، في حين أن miséricorde (الرحمـة) تتضـــمن العفو، الغفران التـام عن المذنب.. والفرق جد كبير.

أما ترجمة اندرية شوراكي للبسملة فهي أكثر بؤساً وسخرية، إذ اختار اشتقاق آخر للجذر رحم الذي يعطي بخلاف الرحمة كلمة رحم المرأة ومشتقاته، وراح يكتب "إن الله يخص بأرحامه من يشاء"! (صفحة ٥٧)

وكما يتضح مما تقدم، فإن مشكلة من المشكلات الأساسية لترجمة القرآن إلى الفرنسية هي نقص الكلمات المقابلة.

وفيما يتعلق بالكلمات التي لا تسـتخدم في الفرنسـية خارج معناها المحدد في القرآن، والتي يعد أســـاس وجودها هو المعنى الديني الإســـلامي، فقد بدا لنا من المنطق أن نحافظ على كتابتها الصوتية، مثال الكلمات التالية:

القرآن: نجد في قاموس روبير التاريخي للغة الفرنســية أمام كلمة Coran إنها مســتعارة من العربية "القرآن" al-Qur’ān (القراءة كما يجب)، وهي مشــتقة من قرأ Qara'a ولا ضــرورة لنورد كافة التغيرات التي عرفتها صــياغة هذه الكلمة على أيدي المســتشــرقين من alcoran و alchoran (في أواخر القرن الخامس عشـر) إلى Koran (١٦٥٧) وغيرها، قبل أن يسـتقروا على ذلك النطق المعوج Coran (وينطق كوران مع تسكين النون تماما، وهو أبعدهم عن النطق السليم لكلمة القرآن).

والمؤســف في هذا الأمر أن نرى كيف يجيد الفرنســيون كتابه النطق الســليم، كما طالعناه al-Qur’ān ومع ذلك نرى نوعاً من الإصرار الغريب على هجاء كتابة غير سليم، بل والأدهى من ذلك أن نطالع في كتاب بلاشـير المذكور بعالية في صـفحة ١٠: لكيلا نعارض اسـتخدام بدأ يَعّمْ في فرنسا، سنتبع هجاء (Coran)!

وهنا نتساءل: لماذا الإصرار للحفاظ على هجاء غير سليم في حين أنه من الأصح والأكثر أمانة اتخاذ الشــكل الأكثر قرباً، حتى وإن أدى ذلك إلى معارضــة اســتخدام يفتقد إلى الأمانة؟! وهو اسـتخدام نراه يتكرر مع اسـم سـيدنا محمد صـلوات الله عليه، والذي مر بالعديد من المحاولات التحريفية من قبيلMaometto, Mahomet, Mahom, Mahomus, Baphomet، وغيرها قبل أن يستقروا على Mahometوينطق "ما أوميه"!! ومن الجـارح أن نرى كيف يجيـد كـل الفرنسين كتابه اسم محمد Muhammad حينما يتعين الأمر بأي شخص آخر غير رسول الله! ألم يحن الوقت لمعارضة العديد من هذه الاستخدامات الخاطئة عمداً، والتي لم تسُد طويلا إلا بسبب التحيز الأعمى، وأن يقوموا بتصويب كتابة اسم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام؟! وفيما يتعلق

بهذه الترجمة فقد اخترنا هجاء Qur'ān، وهو أكثرهم قرباً من النطق العربي، آملين رؤية تعميمه في النصوص الفرنسية.

الزكاة: أن الزكاة ليست الضريبة العشرية، ولا الصدقة أو الصدقة الشرعية كما يترجمها المستشرقون: إنها عبارة عن مبلغ محدد، يُرفع من دخول محددة، ويعطي لأشخاص معيّنين. وهؤلاء الأشخاص مذكورين في سورة التوبة آية ٦٠؛ والدخول محددة في أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام.

الأنفال: لا يوجد مقابل دقيق بالفرنسية لهذه الكلمة التي عادة ما تترجم بمعنى "الإضافية" حينما يتعلق الأمر بالصلوات. أما بالفرنسية فإن كلمة Butin تعني ما يؤخذ من العدو أثناء الحرب، بعد النصر، أو تقسيم ما أخذ من العدو. في حين أن كلمة dépouilles (في الجمع) تعني ما يؤخذ من العدو في حقل المعركة. أما عبارة الأنفال فتتضمن معنى أساسيا لا يوجد في العبارتين السابقين بما أنها تعنى: مكسب ناجم عن الحرب ولم يكن في الحسبان، أى أنه نوع من الغنيمة غير المتوقعة.

سورة: يعد هذا الهجاء Soura هو أقرب شكل من النطق العربي وليس Sourate كما جرى العرف على كتابتها وتنطق سورات. وجمعها Suwar.

ومن نفس المنطلق، فقد قمنا بتصويب هجاء اسم المدينتين الأساسيتين بالنسبة للمسلمين، وكانت الكتابة المتفرنسة تحرفهما، فكتبنا Makkah بدلا من Mecque(وتنطق مِك)، و al-Madinah بدلا من Médine (وتنطق ميدين)، آملين أن يتم تصويبها في النصوص الفرنسية.

ونفس الشيء بالنسبة للدقة المتناهية التي يصف بها القرآن الكريم تكوين الجنين، التي دفعت الدكتور كيث مور، أستاذ التشريح وعلم الأجنة في جامعة أتُوَا بكندا، إلى أن يعلن أثناء المؤتمر المنعقد بالقاهرة عام ١٩٨٦، حول الإعجاز العلمي للقرآن، بأنه لا توجد في أي لغة الألفاظ التي تصف تكوين الجنين في القرآن ولا في دقتها، واقتراح إدخالها في اللغة الطبية وفى اللغة العامة. لذلك أخذنا برأيه فيما يتعلق بالكلمات الثلاث الرئيسية وهي:

نطفة: Nutfah بدلا من gouttelette، وهي نقطة انطلاق أى تكوين جنيني. وتمتد هذه الفترة من لحظة الإخصاب حتى اليوم السادس.

علقة: Alaqah' بدلا من quelque chose qui s'accroche وتعنى تثبيتٍ البويضة بواسطة شعيرات زغبيه تربطها بجدار الرحم. وجمعها alaq' وتمتد هذه الفترة من اليوم السادس وحتى الأسبوع الثالث.

مضغة: Mudgah بدلا من mâchure, وهي المرحلة التي تتكون فيها الكتل الصغيرة من الأنسجة الضـــامة، وعددها من ٤٢ الى ٤٥ زوج من النتوءات التي تشـــبه بالفعل قطعة من اللحم الممضوغ. وتمتد هذه الفترة من الأسبوع الثالث الى السابع.

وهناك مشاكل أخرى تتعلق بالاسم حينما يعطي مجموعتين متميزتين من الاشتقاقات، مثال جذر "رحم" الذي يعطي مجموعتا الرحمة ورحم المرأة، والذي رأينا اســتخدامه الخاطئ في ترجمة شوراكي؛ أو كلمة "كافر" من كفر. فهي من ناحية تعني المزارع الذي يضع الحب في الارض ويغطيه ومن ناحية اخرى قد أعطت ذلك المعنى المركب الشـــديد الاســـتخدام في القرآن وهو "غير المؤمن النافي للحقيقة" والمعنى الأول لا يرد سوى مرة واحدة في القرآن (آية ٢٠ /سورة الحديد)، وعدم مراعاة هذا التحديد يحرف المعنى.

وهناك مشاكل أخرى تتعلق باللغة المترجم اليها، حينما تكون الكلمة قد اكتسبت معنى معيناً:

فكلمة "الغيب" عادة ما يترجمونها "الخفي" أى ما لا تدركه معرفة الانســـان أو "المجهول" أو "الغموض" وكلها لا تتفق والمعنى الدقيق لكلمة الغيب بما أن هذا المجال الأخروي يمكن إدراكه بفضل القرآن، وهو ليس بمجهول بفضل كل الآيات التي تصفه. وبالتالي فهو ليس بغموض، لا لمجرد ترابط هذه الكلمة بالمسيحية وإنما لأن كل قارئ للقرآن سيدرك تماما ما الذي يحدث في العالم الآخر وكيف سيكون يوم الحساب، وكيف سيكون العقاب والثواب. إن كلمة الغيب تعنى في مجملها الإيمان بما هو مكتوب حول البعث والجنة والجحيم والحســـاب في اليوم الآخر. أنه مجال حياة الروح، مجال عالم البرزخ والرؤية غير الحسّـــية، الموجود فعلا بكل تنويعاته وخصائصه إلا أن كل ذلك محجوب عن أعيننا في هذه الحياة الدنيا ولا نعرفه إلا ذهنياً وإيماناً. لذلك آثرنا كلمة Occulte بحرف الـ O الكبير لتمييزها عن المعنى الشائع لها والذي لا يكتب إلا بالجمع فقط ويعنى علوم التنجيم والشعوذة: Les sciences occultes.

وهناك كلمة "فلح" التي أعطت كلمة المفلحون، وتعني: يقطع، يشق وخاصـــة يشق الأرض، يحرث يزرع. أي كل الأعمال الضرورية لجعل الأرض أكثر خصوبة لتحسين إنتاجها. أما في المعنى المجازي فأنها تعطي معنى يثقف، أي الاهتمام بالدراســـة والبحث عن تحســـين النفس ورقيها؛ وتنمية الذهن والعقل والنفس؛ تحســـين الحياة واســـتصـــلاح العادات؛ تنمية العلاقات والمشاعر التي تربط بين الناس والحفاظ عليها؛ تنمية المدارك والمعارف والصداقات، العطف والتعاطف. وهذا المعنى المزدوج، المباشـــر والمجازي، هو الذي يبرز من كلمة المفلحون. ولقد سبق للأديب فولتير ان استخدامها بأوسع معانيها في عبارته الشهيرة أن يفلح المرء حديقته: Cultiver son jardin.. وقد ترجمناها بهذا المعنى، ceux qui cultivent لتفريقها عن cultivateurs بمعنى المزارعون.

وأفعال التفضيل من الصيغ القليلة الاستعمال في الفرنسية، سواء أكانت مطلقة أم نسبية، وهي تمثل نوعا آخر من المشـــاكل بما أن اللغة العربية تعرف اشـــتقاقات كثيرة. فهناك أســـماء الله الحسنى وبعضها له أربع درجات من التفاوت وهي: عالم، أعلم، عليم، علاّم. وقد ترجمناها على التوالي:

Très- Scient, Plus Scient, Tout-Scient et Omniscient

وهناك صيغة تفضيل أخرى من اسم العلى Le Haut وهي الأعلى، وتعني:

le Plus-Haut ، ولم يقم أحد بترجمتها الصـــحيحة ، بل ولا ندري لماذا اكتفت كل الترجمات بعبارة le Très–Haut ؟!

والالتفات من الصيغ الكثيرة الاستخدام في القرآن. وأحد الحلول التي تساعد على اجتياز صعوبة تغيير الشـــخص في العبارة هي وضـــع نقطتين لعدم تغيير صـــيغه الفعل بالعربية. أما المشـــاكل الناجمة عن المعاني المقابلة في اللغة المترجم إليها، في الترجمة الحرفية فتطلب اهتمامًا آخر.

إن صفة "الأخير" بالفرنسية في الاستخدام الإسمي تأخذ معنى بخس، خسيس والعبارة الفرنسية Le dernier des hommes لا تعنى أخر الرجال وأنما أصـــغر وأخس الرجال! وعندما يتعلق بالأمر بعبارة "آخر النبيين" التي يترجمها البعض بعبارة Le Dernier des prophètes بدلا من قول L'ultime Prophète، فأنها تصيب بالمرارة والإحباط التي تعود حقًا على المترجم.

وهناك مشكلة من نوع آخر يثيرها مستوى معارفنا ومحدودية منطقنا. فهناك آيات يقف المترجم أمامها كالفرس الأشهب ولا يجرؤ على ترجمتها ببساطه ويلجأ للتحايل والالتفاف حول النص أو الحذف وذلك مثال الآية ٤٣ من سورة النور:

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاء مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاء وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاء يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ)

ولا داعي للقول إنه ما من ترجمة من الترجمات التســـعة عشـــر التي طالعناها قد نجحت في ترجمتها، ولعل المترجم لم يمكنه تصور أن هناك في السماء توجد جبال من السحب وعلى قمتها بَرَد!

ولم تتغير معلوماتنا إلا ابتداء من ١٩٥٠ حول تكوين المطر والدور الذي يلعبه في تكوين جزيئات من الثلج في المناطق العليا، الأكثر بردًا، في السحاب الذي يمطر. إن السحاب الركامى يبدو بالفعل على هيئة جبل، تعلو قممه بلورات من الثلج تلعب دورًا اساسيًا في انطلاق الهواطل،

وعادة ما ينجم عنها سيول من الأمطار، أو من الثلج أو من البَرَد، تكون مصحوبة أحيانا بظواهر رعديه.

أما فيما يتعلق بالقواعد التي يتعين اتباعها عند ترجمة معاني القرآن، فهي ناجمة عما لاحظناه أثناء العمل. وإبلاغها للذين سيواصلون السير في هذا الدرب لترجمة معاني القرآن الذي لا يمكن لأي جهد بشرى أن يفيه حقه لا يجب أن يفهم على أنه نوع من النقد أو التوجيه لكنه مجرد تجربة على الطريق..

أن ترجمة معاني القرآن تتطلب من المترجم مراعاة النقاط التالية:

* كثيراً ما يكون للكلمة العربية عدة معان مختلفة، فلابد من اختيار المعنى المحدد من كتب التفسير أولا، ثم الاستعانة بقواميس اللغة. ككلمة جزاء مثلا، التي معناها يتضمن المعنى وعكسه كالثواب والعقاب، وفقًا للنص. فمن المضحك أن يطالع قارئ الفرنسية أن الإنسان سيكافأ بأن يلقى في النار! وكل الترجمات تستخدم هذا المعنى الواحد: Les malfaiteurs auront l'Enfer comme récompense

لذلك آثرنا ترجمة فعل يجزى بعبارتين وفقا للمضمون: بالمكافأة أو بالعقاب.

* ضرورة مراعاة الفوارق الدقيقة للكلمة أو المعنى بين العبارات الدالة على المعنى الواحد.

* لابد من مراعاة القواعد اللغوية والتشكيل وإلا من المحال الحصول على ترجمة سليمة، مثال الآية ١٣٧ من سورة الأنعام، حيث التخطي قد أبعد كلمة شركاؤهم إلى منتصف الآية تقريبا، بدلًا من بدايتها.

* مراعاة معنى الكلمة مع تغيّر المخاطب وفقًا للشخص المعنى بالحوار، مثال كلمة "مكر" التي تأخذ معنى الحيلة أو المكيدة عندما تتعلق بالأشخاص، ولكنها تأخذ معنى "التخطيط" حينما تتعلق بالله، كما في الآية ٥٠ من سورة النمل.

* لابد من مراعاة العقيدة الإسلامية لفهم معنى العبارات اللغوية، فكثير من المستشرقين الذين يتناولون النص من ناحية مفردات اللغة يقعون في أخطاء فادحة أو مضحكة، مثال عبارة (تبارك الله) حيث اسم الله هنا فاعل لفعل معتد، ويعنى أن الله قد أغدق في البركة. وكل الترجمات ترجمتها بعبارة Béni soit Allah أو Béni soit Dieu أى ليبارَك الله، فمن ذا الذي سيقوم بمباركة الله عز وجل؟ وترجمتها السليمة Allah Combla de bénédictions لكن هنا أيضًا نرى المترجمين المسلمون قد اتبعوا خطى المستشرقين أو العبارة الفرنسية السائدة دون ان يتساءلوا من هو الذي سيبارك الله؟! فلو اتبعوا التشكيل السليم لقاموا بالاختيار المناسب.

ونفس الشيء بالنسبة لكلمة مخلِص (بكسر اللام) وتعنى Sincère في معناها الشائع، لكن عندما يكون التشكيل بفتح اللام (مخْلَص) كما في الآية ٥ من سورة مريم، فإنها تعنى طاهر، نقى، أو محمى من الخطأ.

* مراعاة صيغه التأكد أو الفعل التأكيدي كما في آية ١٢ من سورة يس:

(إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى).. وخاصة صيغة المفعول المطلق. وهي من صيغ البلاغة التي نطالعها كثيراً في القرآن، والتي تعتمد على تكرار الفعل أو تكرار اسم الفعل أو باستخدام اسم أو الصفة أو حال لتأكيد المعنى. مثال الآية ١٦ من سورة الإسراء (فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا) وقد ترجمناها كالاتي:

Nous la Détruisimes une vraie destruction ، ومن اللافت للنظر أنه ما من أحد قد راعى هذه الصياغة للمفعول المطلق التي ترد كثيراً في القرآن.

* لابد من مراعاة نهاية الوقف بين الآيات مع الالتزام بالآية في حد ذاتها وعدم تغيير ترتيب الآيات ولا مقاطع القرآن.

* من المهم مراعاة نقاط الوقف داخل الآية كمل هي محددة بمختلف علامات الوقف، إذ إن عدم الالتزام بها يؤدى الى تحريف المعنى، كما في (آية:٦٥) من سورة يونس. فإن لم يتبع المترجم علامات الوقف السليمة تأخذ الآية المعنى المخالف.

* لا يجب أن يتحيز المترجم لأي اتجاه في التفسير، كالذين يترجمون عبارة أهل البيت Gens de la maison آية ٣٣ من سورة الأحزاب قائلين:

Les femmes du Prophète أى نساء الرسول، أو أبناء على و فاطمة. ذلك أن التفسير يقع على المفسرين وليس المترجم.

* الانتباه عند ترجمة أسماء السور التي تكون أحياناً جزءًا من الآية أو كلمة منها بأن تترجم وفقًا للمعنى الداخل منه عبارة الاسم وليس ككلمة مستقلة لعدم الخلط بين المؤنث والمذكر أو الجمع والمفرد، مثال "المرسلات" فهي وفقًا للمضمون يجب أن تترجم بصيغة المذكر الجمع وليس بالمؤنث، وكذلك "النازعات" بما أن المرسلات تعنى الريح والنازعات تعنى الملائكة.

* على المترجم الإقلال من التعليقات والهوامش بقدر الإمكان.

* الاهتمام بالروابط وأحرف المعاني وحروف الجر التي كثيراً ما تكون مع الكلمة وتضفى معنى ما أو درجة من الفوارق خاصة في القرآن.

* ضرورة الانتباه الى التراكيب، والتي عددها في القرآن يتطلب عملاً مستقلاً يكون بمثابة دليل للترجمة الى اللغات الاجنبية. ذلك أن ترجمتها الحرفية يحرّف المعنى خاصة بأقلام المستشرقين، مثال عبارة: (حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) (الحجر: ٩٩)، والتي تعنى (حتى الموت) وقد ترجمها چاك بيرك وغيره حتى يأتيك الإيمان! وعندما نعلم أن هذه العبارة كانت موجهة للرسول علية صلوات الله، ندرك فداحة الخطأ.

* مراعاة القواعد الشاذة في اللغة من قبيل القَسَمْ بالنفي الذي يعد في العربية من أغلظ أنواع القسم. ومن لا يلتزم بهذه القاعدة لن يفهم الصياغة السليمة لمثل هذه الآيات، مثال: (فَلَا أُقْسِمُ) (الواقعة:٥٧) التي ترجمها الجميع بـ لا أقسم أبدًا، في حين ترجمتها السليمة تأكيد القسم: Je jure formellement.

* مراعاة صيغة فعل الكينونة "كان" الذي يترجم بـ était أو a été، لكنه عندما يتعلق بالله أو بضمير يتعلق به سبحانه فإنه يأخذ معنى الدوام في الماضي والحاضر والمستقبل. وقد ترجمنها بعبارة Il A toujours Été.

د- عملنا في هذه الترجمة:

* لقد التزمنا بقراءة حفص عن عاصم وترقيم المصحف المصري.

* بالنسبة للتفسير التزمنا بما ورد في تفسيري القرطبي والرازي.

* لقد راجعنا الترجمات الكاملة المذكورة بعاليه، وهو ما سمح لنا برؤية الملاحظات التي أوردناها عن قرب.

* لقد حاولنا التعبير عن معنى القرآن بأوضح ما يمكن، دون الحاجة الى إضافات تذكر إلا عند الضرورة لمراعاة السياق الفرنسي، وقد تم وضعها بين قوسين.

* لقد اختصرنا الهوامش والملاحظات أو الإشارة الى الوقائع التاريخية الى أقل قدر ممكن.

لقد حاولنا في الترجمة الالتزام بسياق النص القرآني في النظام الذي تسمح به القواعد الفرنسية. وقد رأينا لفت نظر القارئ الفرنسي إلى بعض الآيات التي أثبتها العلم الحديث، مثال سورة الطارق، وهو النجم النتروني الذي تم اكتشافه عام ١٩٦٩، والذي تصل كثافة الى ١٠كج/سم٢ أى إلى مائة مليون طن في السنتيمتر المكعب، والذي يصل قطره الى حوالي عشرة كيلومترات تقريبا. وهذا النجم يدور على محوره بسرعة فائقة مُصدرا بانتظام إشارات شديدة الكثافة ونبضات منتظمة مما أدى الى تسميته Pulsar وهي مشتقة من الإنجليزية Pulsating

star. ويصعب تصور كثافة هذا النجم، واذ أن كرة قدم مصنوعة من مادة النترون هذه ستزن خمسين ألف مليون طن، وإذا ما وُضعت هذه الكرة على الكرة الأرضية أو على أى كوكب آخر لثقبته بنفس السهولة التي تثقب بها كرية (بِلْيَة) من الرصاص كومة من الدقيق تاركة خلفها ثقبا بنفس حجمها!

فمن مميزات القرآن الكبرى أنه لا يتضمن أى معلومة يمكن للعلم الحديث ان ينتقدها أو يكذبها.

* الأحرف التي تتصدر ٢٩ سورة أو تمثل اسما لبعضها كتبنا نطقها كما هي.

* الآيات المتشابهات تمت ترجمتها وفقًا للعقيدة الإسلامية على ما عليه جمهور المسلمين من تنزيه الله عن مشابهة البشر.

* لقد احتفظنا بكتابة لفظة الجلالة كما ينطق بالعربية Allah ولم نستخدم كلمة Dieu لأن الاسم لا يترجم وإنما يكتب نطقًا، كما أن العقيدة الدينية تختلف وفقًا للعبارتين: فبالنسبة للمسيحين الإله Dieu عبارة عن ثالوث، ثالوث قائم على عبادة الفرد وهو المسيح الذي قامت الكنيسة بتأليهه عام ٣٢٥م في مجمع نيقيا الاول. الأمر الذي يمثل بالنسبة للمسلمين شركاً لا يُقبل أو لا يمكن تصوره، لأن الله في العقيدة الإسلامية ليس كمثلة شيء.

وهذا المفهوم هو محور التوحيد الذي نؤمن به، نحن المسلمون، وهو ما يمثل نقطة الخلاف الحقيقية أو الشرخ الذي لا يمكن تخطيه بين المسيحين والمسلمين، الأمر الذي يفسر تلك الكراهية العمياء التي تدفع بالتعصب الكنسي إلى محاربة الإسلام بضراوة لا مثيل لها، لأن القرآن يتضمن الأدلة التي لا يمكن دحضها على عمليات التحريف التي عانت منها المسيحية.

* لقد التزمنا باللغة العربية، وليس باللغة المترجم اليها، حتى وإن أدى ذلك الى صياغة غير مألوفة أحيانا أو إلى التكرار، تمسكاً بكل حرف في القرآن. كما لم نراع وحدة الأفعال في الجملة الواحدة بالفرنسية التزامًا وتمسكاً بكل كلمة أو صيغة في القرآن.

* لقد استعنا احياناً بكلمة مدرجة في القواميس الفرنسية بأنها قديمة أو نادرة لنكون أكثر التزاماً بكلمات القرآن.

* إن الأفعال والضمائر المتعلقة بالله قد كُتبت بالحروف الكبيرة لسهولة تمييزها دون الحاجة الى ملاحظات توضيحية في نفس النص.

وفيما يتعلق باللغة العربية، لقد استعنا بالمعجم المفهرس لمعاني القرآن لمحمد فؤاد عبد الباقي، ومعجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم للدكتور إسماعيل عمايرة، ومعجم حروف المعاني بالقرآن الكريم لمحمد حسن الشريف والدكتور عبد الحميد السيد، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم

لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم لعبد الله الندوي، والمترادفات في القرآن الكريم لمحمد محمود غالى.

هذه العلامة ∆ الموضوعة امام رقم آية من الآيات تعنى أنه على القارئ أن يسجد تعظيما لله.

أ. د. زينب عبد العزيز

٢٠٠١